

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

طَرِيقَهُ تَرْسِيخِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا هِيَ عَدَمُ إِهْمَالِ عِبَادَاتِنَا وَتَعْطِيلِهَا ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَتَغَدَّى بِالْعِبَادَةِ. وَهُوَ جَوْهَرُ الْعُبُودِيَّةِ وَعَرَضٌ مِنْ خَلْقِ الْعِبَادِ وَهُوَ تَقْدِيمُ الْعَبْدِ حَالَهُ إِلَى رَبِّهِ دُونَ مُتَوَسِّطٍ وَوَسَاطَةٍ. وَيَنْصَحُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ قَائِلًا: «اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَأَدِّ الرِّكَاعَةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَصُمْ رَمَضَانَ، وَمَا تُحِبُّ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكَ النَّاسُ فَافْعَلْهُ بِهِمْ، وَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ النَّاسُ فَذَرِ النَّاسَ مِنْهُ»⁴

إِذَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالتَّمَسُّكُ بِالتَّوْحِيدِ يَقْتَضِي بِأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ. وَإِنَّ مَزِيَّةَ الْمُؤْمِنِ هِيَ السَّعْيُ وَالتَّبَدُّلُ لِالتَّقَرُّبِ إِلَى مَرَضَاةِ اللَّهِ بِالتَّوَافُلِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

وَأَمَّا الْعِنَاصِرُ التَّكْمِيلُ الْإِيمَانِ وَالْعِبَادَةَ هِيَ الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ. لِذَلِكَ قَالَ نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»⁵ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، إِنَّ التَّبَنِّيَّ وَالتَّحْسَنَانَ بِالفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالتَّجَنُّبَ مِنَ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ هِيَ مَسْئُولِيَّةُ الْمُؤْمِنِ وَلَا غَنَى عَنْهَا.

قَالَ نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»⁶ الْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ هُوَ مَنْ يَتَّخِذُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةً حَسَنَةً وَقُدْوَةً مِثَالِيَّةً فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ. وَهُوَ يَرْحَمُ الصِّغَارَ وَيَحْتَرِمُ الْكِبَارَ، وَيُعْطِي الثِّقَةَ وَالْأَمْنَ لِمَنْ حَوْلَهُ. وَهُوَ وَفِيٍّ لِلْأَمَانَةِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْخِيَانَةِ وَلَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ وَهُوَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

«مَعَ وَصْفِ نَبِيِّنَا (ص) الْمُسْلِمِ الْمُبَارَكِ»

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الَّتِي قَرَأْتُمُهَا أَنْفَاءً: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»¹ وَيَقُولُ نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَرَأْتُمُوهُ أَنْفَاءً: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»²

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

الْإِيمَانُ هُوَ أَعْلَى كَنْزٍ لِلْمُسْلِمِ فِي حَيَاتِهِ. وَهُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ تَجَلَّبُ لَنَا السَّلَامُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّخْلَاصَ فِي الْآخِرَةِ. وَيُبَشِّرُ لَنَا نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ نَالَ هَذِهِ النِّعْمَةَ هَكَذَا: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»³

الْإِيمَانُ هُوَ جَوْهَرُ نَفْسٍ وَفُرْصَةٌ فَرِيدَةٌ وَهُوَ دَوَاءٌ لِكُلِّ دَاءٍ وَجَنَّةٌ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ وَأَنَّهُ قُوَّةٌ تَحْمِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشَّرِّ فِي كُلِّ حَالَاتِهِمْ وَتُرْشِدُهُمْ إِلَى الْخَيْرِ. وَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَعْرِفُ قِيَمَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يُثَابِرَ عَلَى إِيْمَانِهِ وَأَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى الْعَيْشِ بِطَرِيقَةٍ مُنَاسِبَةٍ لِإِيْمَانِهِ. وَبِذَلِكَ يَقْتَرِبُ مِنْ رَبِّهِ وَيُحَرِّرُ نَفْسَهُ مِنَ الرَّغَبَاتِ الْفَارِغَةِ وَطُمُوحَاتِ مُوقَّتَةٍ.

صَادِقٌ بِقَوْلِهِ وَلَا يَكْذِبُ أَبَدًا، وَهُوَ سَخِيٌّ وَلَا يَبْخُلُ بَنَاتًا، وَهُوَ يَخْفِضُ لِرِوَالِدَيْهِ جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَيُعَامِلُ مَعَ رَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَمَعَ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ بِالرَّأْفَةِ وَالْحَنَانِ وَلَا يَلْتَجِي إِلَى الْعُنْفِ وَالظُّلْمِ قَاطِبَةً.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

يَا لَهُ مِنْ شَرَفٍ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ! لَكِنَّ الْكَوْنَ فَرْدًا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ فِي الْأُسْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ هُوَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَتَطَلَّبُ بَعْضَ الْمَسْئُولِيَّاتِ. وَعِنْدَمَا قَرَأْنَا أَحَادِيثَ نَبِيِّنَا الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَشْهَدُ عَلَى تَعْرِيفِ الْمُؤْمِنِ هَكَذَا: الْمُسْلِمُ هُوَ مَنْ يَعْرِفُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتَّى يُؤْمِنَ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى تَحَابُّوا⁷ وَالْمُؤْمِنُ هُوَ مَنْ عَمَلَ حَسَنَةً فَسَرَّ بِهَا وَعَمَلَ سَيِّئَةً فَسَاءَتْهُ.⁸ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ، وَلَا اللَّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَدِيءِ⁹ وَهُوَ يَجْتَنِبُ مِنَ الْخَمْرِ فَإِنَّهُ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَمِنَ الْمَيْسِرِ فَإِنَّهُ يَضِيعُ الْعُمُرَ وَالْحَيَاةَ وَهُوَ لَا يَقْتَرِبُ بِمَا أَنَّهُ يَتَطَلَّبُ عَضَبَ اللَّهِ¹⁰ وَهُوَ يَبْتَعِدُ عَنِ الشَّرِكِ، وَلَا يَقْتُلُ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، وَلَا يَأْكُلُ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَلَا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى مَالِ الْيَتِيمِ، وَلَا يَفْتَرِي أَخِيهِ الْمُسْلِمَ وَلَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ وَهُوَ يَدْرِي لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامًا وَلِهَذَا لَا يَشْتَرِكُ فِي الْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ.¹¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {خَيْرُكُمْ مَنْ يُزْجِي خَيْرُهُ وَيُؤْمِنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُزْجِي خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمِنُ شَرُّهُ}¹² إِذَا يَا إِخْوَانِي هَيَّا بِنَا نَحَاوِلُ لِنَكُونَ مُسْلِمًا صَالِحًا كَمَا عَلَّمَنَا نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ. وَنُتَوِّرُ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَنُطْعِمُ

صُدُورَنَا بِذَوْقِ الْعِبَادَةِ وَنَضْضِلُ فُؤَادَنَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ. وَفِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ حَيَاتِنَا نُصْبِحُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرَاتِ وَقُفْلًا لِلْسَيِّئَاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

أُرِيدُ أَنْ أُشِيرَ إِلَيْكُمْ مُوضِعًا هَامًا قَبْلَ أَنْ أَنْهِيَ حُطْبَتِي، أَلَا وَهُوَ، كَمَا تَعْلَمُونَ نَحْنُ نَخْدُمُ بِفَضْلِ دَعْمِ أُمَّتِنَا الْعَزِيزَةِ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ بَلَدِنَا وَفِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ تَحْتَ قِيَادَةِ رِئَاسَةِ الشُّؤُونِ الدِّيْنِيَّةِ وَوَقْفِنَا الدِّيَانَةِ التُّرْكِيَّةِ. وَنَحْنُ نَعِدُ بِيَتَهُ سَكْنِيَّةً صَحِيَّةً لِطُلَّابِنَا وَنُقَدِّمُ الْمَنْحَ الدِّرَاسِيَّةَ وَالِدَعْمَ الثَّقَافِيَّ وَالتَّعْلِيمَ الْمَجَانِّيَّ لِلْأَيْتَامِ وَإِخْوَانِنَا الْفُقَرَاءِ. وَفِي الرَّحَابِ الطَّاهِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَكُونُوا نُورَ الْأَمَلِ لِآلَافِ شَبَابِنَا وَتَلْبِيَّةً إِلَى حَوَائِجِهِمْ مِنْ خِلَالِ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ وَالتَّبَرُّعَاتِ. وَفِي هَذَا السِّيَاقِ نَرْجُو مِنْكُمْ مُسَاعَدَةً مَالِيَّةً مَعَ شُعُورِ الْحُبِّ وَالْإِخَاءِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ. وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ بِأَحْسَنِ قَبُولٍ كُلَّ صَدَقَاتِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ.

¹ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، 102/3.

² رَوَاهُ الْمُسْلِمُ، بَابُ الْإِيمَانِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 65، وَابْنُ بَرَكَةَ، الْإِيمَانُ، 4

³ رَوَاهُ ابْنُ بَرَكَةَ، بَابُ الْعِلْمِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 49.

⁴ مُسْنَدُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، VI، 384.

⁵ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، بَابُ السُّنَّةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 15.

⁶ مُسْنَدُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، II، 381.

⁷ رَوَاهُ الْمُسْلِمُ، بَابُ الْإِيمَانِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 93.

⁸ يَنْظُرُ مُسْنَدُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، IV، 399.

⁹ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، بَابُ الْبِرِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 48.

¹⁰ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، الْأَشْرَبَةُ، 1؛ أَبُو دَاوُدَ، الْأَشْرَبَةُ، 5؛ ابْنُ بَرَكَةَ، الْكُفُوفُ، 2

¹¹ رَوَاهُ ابْنُ بَرَكَةَ، الْوَصَايَا، 23؛ الطَّبْرَانِيُّ، الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، XII، 340.

¹² رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، الْفِتْنَةُ، 76؛ ابْنُ حَنْبَلٍ، II، 368.